ولايـة عنبسة بن إسحاق على مصر

من سنة (٢٣٨ - ٢٤٢هـ/ ٨٥٣ - ٨٥٦م)

الدكتـــور

محمود محمود حسن أحمد

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد حفل العصر العباسي الأول ببعض الولاة الذين أسهموا في التمكين للعباسيين وكان لهم دور في الولايات التي تولوا إمارتها وأخذ بعضهم حقه من الدراسة والبحث والبعض الآخر ما زالت أخباره قليلة ومتناثرة بين ثنايا المصادر أو ضمن تراجم لآخرين ولم نعرف حقيقة إنجازاتهم ومن هؤلاء عنبسة بن إسحاق الذي تولى مصر خلال هذه الفترة. لذا عقدت العزم – بإذن الله تعالى – على تناول هذه الشخصية في بحث تحت عنوان (ولاية عنبسة بن إسحاق على مصر من سنة ٢٣٨ – ٢٤٢هـ/ ٨٥٣ – ٨٥٦م).

وأتناول فيه – إن شاء الله تعالى – النقاط الآتية:

التعريف بعنبسة وولايته على مصر سنة ٢٣٨هـ/ ٨٥٣م وأهم الأعمال التي قام بها ثم تحدثت عن هجوم الروم على دمياط فبينت أهمية موقعها الجغرافي وعرضت أحداث ذلك الهجوم وآثاره على مصر، وناقشت روايات المؤرخين حول موقف عنسبة بن إسحاق من هذا الهجوم، وتناولت كذلك بلاد النوبة منذ الفتح الإسلامي، وشرحت غارات النوبة والبجة على ثغر أسوان وزيلت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها والله يوفقنا ويهدينا إلى سواء السبيل اللهم أمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

التعريف به :

هو عنبسة بن إسحاق بن شَمِر بن عيسى بن عنبسة [١] الضبي [٢] وكنيته أبو حاتم وقيل [٣]: أبو جابر، وهو من أهل «هراة» [٤] ولي إمرة مصر بعد عزل عبد الواحد بن يحيى عنها.

ولاه المنتصر محمد بن الخليفة المتوكل على الله جعفر في صفر سنة ثمان وثلاثين ومائتين على الصلاة [٥] حيث كان الخليفة في المدينة أو في دمشق أو في بغداد يعين واليا على مصر ينوب عنه في حكم البلاد وتصريف شئونها، ومن أهم اختصاصاته إمامة المسلمين في الصلاة، وقيادة الجيش وقت الحرب [٦]، قدم عنبسة مصر يوم السبت لخمس خلون من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة متوليا على الصلاة وشريكا لأحمد بن خالد الصَّيريفيني صاحب خراج مصر فسكن عنبسة المعسكر على عادة الأمراء وأقرَّ على شرطته أبا أحمد محمد بن عبد الله القُمِّي، وعلى الخراج أحمد بن خالد الصَّريفيني[٧]، وقد كان الخلفاء من بني العباس يُعينون على مصر في معظم الأحيان رجلين أحدهما على الصلاة وبيده شئون الحرب والإدارة وحفظ النظام وتنفيذ الأحكام أما ثانيهما فكان مختصا بالشئون المالية من جباية الخراج ودفع مرتبات الجند والموظفين، والانفاق على مرافق الولاية وشئون العمران، وإرسال ما يبقى بعد ذلك إلى خزينة الدولة ببغداد، ومع أن توزيع الاختصاص هذا كان يساعد هذين الرجلين على أن يقوم كل منهما بعمله على خير وجه، إلا أنه كان يحدث في بعض الأحيان أن يتدخل أمير الصلاة – وهو المسئول الأول عن الأمن في الولاية – في أعمال

صاحب الخراج ليحد من بعض تصرفاته التي من شأنها أن تثير النفوس وتؤدي إلى الثورة، وإذا ما رفض صاحب الخراج هذا التداخل حل سوء التفاهم بين الرجلين، وعمل كل منهما على التخلص من الآخر، وقد ينتهي الأمر بعزل أخلص الرجلين وحلول من هو أقل درجة وإخلاصًا محله، ولم يكن ذلك التغيير في صالح البلاد [٨]، وقد ظل اعتماد الخلفاء العباسيون على العرب والفرس، وإنما اعتمدوا مع الفرس على العناصر العربية للاستعانة بها إذا ما شمخ الخراسانيون بأنوفهم وكان قادة الجيوش وأمراء الأمصار لهذا من كل من الجنسين العرب والفرس [٩]، وكان آخر من ولي مصر من العرب عنبسة بن إسحاق سنة ٢٣٨هـ [١٠]، ودام عنبسة على مصر إلى أن ورد عليه كتاب المنتصر أن ينفرد بالخراج والصلاة معًا وصرف شريكه على الخراج أحمد بن خالد فدام على ذلك مدة، ثم صُرف عن الخراج في أول جمادى الآخرة من سنة إحدى وأربعين ومائتين [١١] بعد أن عاد من سفرة الصعيد وانفرد بالصلاة ثم ورد عليه كتاب الخليفة المتوكل بالدعاء بمصر للفتح بن خاقان أي أن الفتح ولي إمرة مصر مكان المنتصر بن المتوكل، وصار أمر مصر إليه يولي بها من شاء، وذلك في شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وأربعين ومائتين فدعى له بها على العادة بعد الخليفة [١٢].

الأعمال التي قام بها عنبسة:

لما ولي عنبسة مصر أمر العمال برد المظالم وخلَّص الحقوق وأنصف الناس غاية الإنصاف، وأظهر من الرفق والعدل بالرعية والإحسان إليهم ما لم يُسمع بمثله في زمانه [١٣] وابتنى عنبسة في أيام

ولايته المصلى المجاورة لمصلى خَوْلان وكانت من أحس المباني [١٤]، وكان يتوجه ماشيا إلى المسجد من مسكنه بالمعسكر بدار الإمارة [١٥] وصلى عنبسة في هذا المسجد الذي بناه يوم النحر سنة ٢٤٠هـ [١٦] وكان يرُمى «بمذهب الخوارج»[١٧] ومن هنا جاء كرهه من بعض أهل مصر حتى عمل الشعراء على تأليب الخليفة العباسي المتوكل عليه ولوم هذا الخليفة على تولية عنبسة [١٨] وخاطب الشاعر يحيى بن الفضل الخليفة ينصحه بعزله ومما قاله في ذلك:

من فتى يبلغ الإمام كتابا عربيا ويقتضيه الجوابا

بئس والله ما صنعت إلينا حين وليتنا أميرًا مصابا

خارجيا يدين بالسيف فينا ويرى قتلنا جميعا صوابا

الأحداث التي وقعت في عهد عنبسة

هجوم الروم على دمياط:

أولاً: موقع دمياط وأهميتها:

تقع على الضفة الشرقية لفرع النيل المسمى بفرع دمياط [٢٠] حيث كان يتفرع منه فرع النيل التنيسي الذي يصب في بحيرة تنيس [٢١] ويصف المقريزي [٢٢] فرع دمياط فيقول: «والشطر الآخر (فرع دمياط) يمر من «شطنوف»[٢٣] إلى «جوجر»[٢٤] ثم يتفرق من عند جوجر إلى فرقتين فرقة تمر إلى أشموم فتصب في بحيرة تنيس، وفرقة تمر من جوجر إلى دمياط فتصب في البحر الملح هناك، وتصير هذه الفرقة فاصلة بين مدينة دمياط والبر الغربي».

كانت بحيرة تنيس تمتد غربا إلى دمياط التي تقع على شاطئها الغربي[٢٥] كما كانت تقع على ساحل بحر الروم [٢٦] على منحنى بارز شبيه بالهلال [٢٧] وهذا البروز حدث نتيجة لتراكم رواسب نهر النيل، ودمياط على هذا جزيرة تحيط بها المياه من جميع النواحي [٢٨].

قدَّر المقريزي [٢٩]: المسافة بين دمياط وتنيس بمقدار اثنى عشر فرسخا في بحيرة تنيس أما ياقوت [٣٠] فيذكر: أن البر الرملي المستطيل الذي يفصل بين البحيرة والبحر كان طريقًا بين دمياط والفرما يقطعه السائر في ثلاثة أيام.

وتعتبر دمياط من المواني والقواعد البحرية الهامة في مصر في العصر الإسلامي حيث لعبت دورًا تاريخيًا وحضاريا من النواحي السياسية والاقتصادية والحربية [٣١] كما أنها من المواني التي تقع في منطقتين الأولى في الركن الشمالي الشرقي وتضم ثلاثة ثغور هي الفرما وتنيس ودمياط وتشترك هذه الثغور الثلاثة في وقوعها على بحيرة تنيس [٣٢] إضافة إلى وقوعها على البحر المتوسط من جهة وعند مصب الفرع الشرقي للنيل الذي سمى بإسمها من جهة ثانية [٣٣] وبذلك تكُوِّن دمياط مع تنيس والفرما مجموعة المواني المصرية التي تقع على الركن الشمالي الشرقي لساحل مصر الشمالي [٣٤] وكان من مزايا هذا الموقع المزدوج أن أصبحت تجمع بين التجارة الداخلية عبر النيل والتجارة الخارجية مع الأقطار المطلة على حوض البحر المتوسط وكانت ترسوا بها السفن القادمة من المغرب بحذاء الساحل الشمالي لإفريقيا [٣٥]، ولم تبرز دمياط كقاعدة هامة منافسة للإسكندرية إلا منذ

أن تمكن غزاة البحر الأندلسيون من فتح أقريطش (كريت) فقد أصبحت أقريطش ترتبط مباشرة بدمياط وكانت دمياط تزودها بكل ما تحتاج إليه من أسلحة وعتاد وسفن وقلوع من إنشاء دار صناعة دمياط أو جزيرة الروضة، وفطن البيزنطيون إلى حقيقة ما تمثله دمياط بالنسبة لجزيرة أقريطش فوجهوا هممهم إلى تأديب دمياط بغارة عنيفة قد تجعل أهلها يفكرون طويلا قبل أن يزودوا أقريطش بالسلاح والعتاد [٣٦].

ويتضح لنا أهمية دمياط من وصف المؤرخين لها فيصفها الأصطخري[٣٧] بأنها كانت «من مشاهير المدن» ويصفها ابن حوقل [٣٨] هي وتنيس قائلاً: «ومن جليل مدنها - أي مدن مصر - وفاخر خواصها تنيس ودمياط» أما ياقوت [٣٩] فيصفها بأنهما «حاضرتا البحر».

كانت دمياط ذات هواء طيب [٤٠] فسيحه الأرجاء ذات ضواح ورياض ومصايف على شاطئ البحر [٤١] ويصفها المقدسي [٤٢] قائلا: «أطيب وأرطب وأوسع وأفسح وأكثر فواكه وأحسن بناء وأوسع ماء وأحذق صناعا وأرفع بزا وأنظف عملا وأجود حمامات وأوثق رباطات».

وكانت دمياط تعتمد في غذائها على ما يزرع في ظهيرها ويربى فيها من حيوانات أما مياه الشرب فكانت تتزود بها من نهر النيل مباشرة [٤٣].

ثانيا: هجوم الروم على دمياط سنة ٢٣٨هـ/٨٥٣م:

كانت الغزوات البحرية التي شنها الروم على مصر تتسم بطابع الانتهازية يقول المقريزي [٤٤]: «لما كانت الفتنة بين الأخوين محمد الأمين وعبد الله المأمون وكانت الفتن بأرض مصر طمع الروم في البلاد ونازلوا دمياط في أعوام بضع ومائتين».

واجتاحت ثغورها الفتن والاضطرابات واتخذ البزنطيون من تلك الفوضى التي سادت مصر فرصة لمعاودة إغارتهم على دمياط [٤٥] ولم يمض على ذلك غير قليل حتى تمكن القائد العباسي عبد الله بن طاهر من إعادة سيطرة الخلافة على مصر وإخراج الأندلسيين من الإسكندرية فرحلوا إلى جزيرة أقريطش (كريت) وأقاموا بها إمارة أندلسية [٤٦] ونشط أسطولهم ضد البيزنطيين مما ترتب عليه محاولات متكررة من جانب البيزنطيين للحد من نشاطه [٤٧].

ولما كانت موانى مصر الشمالية يقع عليها عبء إعداد وتزويد ذلك الأسطول [٤٨] لذلك قام الروم بغارة مفاجئة على مدينة دمياط في عام ٢٣٨هـ/٨٥٣م في عهد الخليفة العباسي المتوكل وولاية عنبسة بن إسحاق على مصر [٤٩] وكان الهدف من تلك الغارة هو قطع الاتصال والمعونة البحرية التي قامت بين مصر وجزيرة اقريطش (كريت) التي غدت خطرًا جسيما يتهدد قواعد الروم البحرية في آسيا الصغرى [٥٠].

يذكر أحد الباحثين [٥١]: أن العرب الأندلسيين في جزيرة أقريطش (كريت) كان لهم دور كبير في تحريك تلك الحملة إلى شواطئ مصر.

ولكي نتعرف على الأبعاد الحقيقية لتلك الحملة ينبغي أن نركز الضوء قليلا على جزيرة كريت آنذاك.

ففي مستهل وصاية الامبراطورة ثيودورا أرملة الأمبراطور ثيوفيل ٢١٤ – ٢٢٧هـ/ ٨٢٩ – ٨٤٢م على إبنها القاصر ميخائيل الثالث ٢٢٧ – ٢٥٣هـ/ ٨٤٢ – ٨٦٧م قرر المسئولون في القسطنطينية إرسالة حملة إلى كريت لاستردادها من المسلمين وبالفعل أبحرت تلك الحملة في ١٨ مارس ٢٢٨هـ/٨٤٣م بقيادة ثيوكتستوس فنزل بقواته على أرض الجزيرة وقاتل بشجاعة وأحرز انتصارًا على المسلمين الذين فوجئوا بهذه الحملة في الوقت الذي كان فيه أسطولهم يقوم بالإغارة على البحر الإيجى [٥٢] عندئذ رأى مسلمو كريت أنه من الممكن أن يتغلبوا على ضعف إمكانياتهم العسكرية باللجوء إلى الحيلة وذلك «بأن رشوا أحد الضباط البيزنطيين وأوعزوا إليه أن يشيع في معسكره أن الإمبراطورة ثيودورا عزلت ثيوكتستوس من مجلس الوصاية، وأنها اختارت أحد منافسيه ليحل محله.

عندئذ سرت تلك الإشاعة في المعسكر الرومي حتى وصلت إلى ثيوكتستوس نفسه فخشى على منصبه وترك جيشه وأسطوله وأسرع بالعودة إلى القسطنطنية [٥٣].

وهكذا أدى اهتمام ثيوكتستوس بمصالحه الشخصية إلى إضاعة الفرصة على بيزنطة في استرداد كريت من ناحية ومن ناحية أخرى تسبب في إخفاق تلك الحملة وتكبيد الدولة خسائر فادحة مادية وبشرية[٥٤].

ولما كان العرب الأندلسيون في كريت لا يزالون يعرقلون سبل تجارة الروم ويهددون جزر بحر إيجه وشواطئه بالقرصنة لذلك أمرت ثيودورا بالإغارة على سواحل مصر لتخريب ما فيها من در صناعة بحرية هامة – ترسانة لصناعة السفن – كانت تزود عرب كريت بالسفن والعتاد وأحيانا بالرجال [٥٥] ولأن موانى مصر الشمالية خاصة دمياط كان يقع عليها عبء إعداد وتزويد أسطوال أهل أقريطش (كريت) لذلك وجهوا تلك الغارة العنيفة إلى دمياط [٥٦]، كان هذا هو أحد أسباب حملة الروم البحرية على مصر سنة ٢٣٨هـ/٨٥٣م [٥٧]، يضاف إلى ذلك سببًا آخر هام هو رغبة كل من ثيوكتستوس وثيودورا في الانتقام لما أنزله أهل إقريطش (كريت» بحملة ٢٢٨هـ/٨٤٣م لكن الضربة لم تكن موجهة تلك المرة إلى كريت وإنما إلى مصر نظرًا للرابطة القوية التي كانت تربط مصر بأهالي كريت [٥٨].

إن كريت كانت تتبع أحيانا الروم وأحيانا أخرى كانت تتبع الخلافة العباسية، وفي فترات تبعيتها للطرف الأخير كانت تتبع من ناحية التقسيم الإداري للدولة العباسية إقليم مصر [٥٩]، فكانت كريت تمد مصر بالعسل النحل والجبن [٦٠] وكانت تصدر إلى مصر وسوريا الأخشاب وزيت الزيتون.

والراجح أن مصر استخدمت تلك الأخشاب في دار صناعتها لصناعة السفن التي كانت تُرسل منها عددًا إلى كريت كما كانت تمدها أيضا بالسلاح والعتاد الحربي [٦١]، وقد قيل [٦٢]: أن السبب المباشر لتوجيه حملة إلى سواحل مصر في ذلك الوقت ٢٣٨هـ/ ٨٥٣م وهو ما

وصل إلى المسئولين الروم من أن هناك كمية من السلاح موجودة بمدينة دمياط أراد المصريون حملها إلى أبي حفص صاحب اقريطش (كريت)[٦٣].

وعلى ذلك كان هدف تلك الحملة هو قطع الاتصال والمعونة البحرية التي قامت بين مصر وجزيرة كريت ولذلك توجه أسطول رومي إلى مصر، وهنا تجمع غالبية المصادر [٦٤] العربية على أنه كان مكونا من «ثلاثمائة مركب» بينما يذكر اليعقوبي [٦٥] أن عدده كان «خمسة وثمانين مركبا» والراجح أن اليعقوبي كان يقصد هنا عدد الجزء من الأسطول الذي بدأ الهجوم [٦٦] وكان الأسطول بقيادة ثلاثة من قادة الروم البحريين أشار إليهم الطبري [٦٧] باسم «عرقا وابن قطونا وأمردناقة» أما ابن الأثير [٦٨] فيذكر فقط أن الأسطول كان بقيادة «ثلاثة رؤساء» على كل مائة منها أمير بحر يتولى قيادتها [٦٩].

وإذا كان اليوم الذي حدد للهجوم على دمياط هو ٢٢ مايو ٨٥٣م [٧٠] ٩ ذي الحجة ٢٣٨هـ [٧١] فإن ذلك يدل على «مهارة تدبير الإدارة البيزنطية[٧٢] فقد كان والى مصر في ذلك الوقت عنبسة بن إسحاق [٧٣] آخر والي عربي تقلد أزمَّة الحكم في مصر وذلك في عهد الخليفة المتوكل العباسي (٢٣٢ – ٢٤٧هـ) (٨٤٧ – ٨٦١م)[٧٤].

وهكذا تصادف ذلك الهجوم مع خلو دمياط من حاميتها، وقد علل ذلك بسببين:

الأول: أن عنبسة بن إسحاق أمر الجند الذين بدمياط أن يحضروا إلى الفسطاط عندما اقترب العيد ليتجمل بهم [٧٥].

والسبب الثاني: أن عنبسة أراد طهور ولديه يوم العيد حتى يجمع بين العيد والفرح، واحتفل بتلك المناسبة احتفالاً كبيرًا حتى بلغ به الأمر أن أرسل إلى ثغرى دمياط وتنيس فأحضر «سائر من كان بهما من الجند والخرجية والزراقين وكذلك من كان بثغر الإسكندرية من المذكورين فرحلوا إليه بأجمعهم (٧٦).

والراجح أن السببين تضافرا على إخلاء دمياط من مسلحتها على حد تعبير ابن خلدون (٧٧)، وأن تلك الحامية استدعيت للاشتراك في عرض حربي في الفسطاط رغب الوالي أن يجعله أكبر عرض حربي ممكن (٧٨).

ومهما يكن من أمر فإن موقع دمياط سهل على الروم العبث والتخريب فيها على نحو كبير فدمياط العصور الوسطى تختلف عن دمياط الحالية التي تقع على الضفة اليمنى لمصب فرع دمياط على بعد اثنى عشر كيلو مترا من البحر المتوسط، ويفصلها عن بحيرة المنزلة شريط أرضي إتساعه كيلو متر واحد ويستدل من أقوال الجعرافيين العرب في العصور الوسطى أن دمياط كانت تقع على قطعة أرض مستطيلة تمتد بين مصب فرع دمياط والبحر المتوسط، كما أن الشريط الأرضي الذي يفصلها عن بحيرةالمنزلة كان من ضيق المسافة بدرجة جعلت مياه الفيضان تعلو عليه وتغمره حتى تبدو دمياط كأنها جزيرة منعزلة في الماء (٧٩).

هاجم الروم دمياط «فقتلوا من أمكنهم قتلُه من الرجال وأخذوا من ألأمتعة والقند والكتان ما كان عبى ليحمل إلى العراق [٨٠] بل قيل [٨١] إنهم: «هجموا على أهلها وقتلوا جماعة من المسلمين وأسروا منهم جماعة».

هنا يبين اليعقوبي [٨٢]: مدى فادحة الخسائر البشرية حين يقول أن عدد سبايا الروم «من المسلمات ألفا وثمانمائة وعشرين إمرأة ومن نساء القبط ألف إمرأة ومن اليهود مائة امرأة» وهو رأي انفرد به اليعقوبي ونحن نرجحه بينما يذكر الطبري ومن أخذ عنه أن عدد السبايا بلغ حوالي: «ستمائة امرأة»[٨٣] وأن عدد المسلمات منهن حوالي «مائة وخمس وعشرون امرأة»[٨٤].

كذلك استولى الروم على السلاح الذي كان بدمياط [٨٥] واستولوا على السقط [٨٦] كما «أحرقوا خزانة القلوع وهي شرع السفن وأحرقوا المسجد الجامع بدمياط وأحرقوا الكنائس [٨٧] وحملوا الأمتعة والمنسوجات التي كانت معدة لإرسالها إلى العراق، كما استولوا على المؤن والذخيرة التي كانت معدة للشحن إلى جزيرة اقريطش (كريت)[٨٨] عندئذ هرب الأهالي «فغرق في البحر نحو ألفين»[٨٩].

حدث ذلك الهروب نتيجة الفزع من قسوة تلك الغارة المفاجئة فحاول الكثيرون منهم الفرار فغرق منهم أعداد كبيرة أثناء تلك المحاولة في بحيرة تنيس ويذكر الطبري [٩٠] أن عدد من غرق من النساء والأطفال أكثر مما سباه الروم في حين أعمل الروم في أهل دمياط القتل والأسر وسبوا الكثير من النساء وغزا علي بن يحيى الأرمني بلاد

الروم على رأس صائفة في عامين متتالين ٢٣٨، ٢٣٩هـ وفي عام ٢٤١هـ قتلت ملكة الروم «ثيودروا» اثنى عشر ألف أسير من المسلمين وكانوا قد قاربوا العشرين ألفا، وقد عرضت الملكة على الأسرى النصرانية فمن قبلها منهم عاش بين الروم ومن رفضه قُتل فرفضها الأسرى فقتلت منهم هذا العدد [٩١]، ورغم ما أبداه بعض أهالي دمياط من شجاعة نادرة في قتال الروم إلا أن ذلك لم يغير من نتيجة تلك الغارة التي رجحت فيها كفة الروم فقد كسر بسر بن الأكشف – الذي كان قد حبس بأمر عنبسة – قيوده بواسطة عدد من أعوانه وخرج يقاتل الروم هو وجماعة آخرين وبالفعل قتل عددا منهم [٩٢] وإذا كان اليعقوبي [٩٣]: قد أوضح أن الهجوم الرومي على دمياط قد استمر يومين وليلتين فإن بعض المصادر [٩٤] الأخرى أشارت إلى أن الروم ولّو مسرعين في البحر دون أن تشير إلى أية مقاومة من جانب المصريين بينما يشير الكندي [٩٥] – وأخذ عنه المقريزي نفس الرأى – إلى أن عنبسة بن إسحاق نفر إليهم في جيشه ونفر معه كثير من الناس فلم يدركوهم ومضى الروم إلى تنيس فأقاموا «بأشتومها» فلم يتبعهم عنبسه وفي ذلك يقول الطبري [٩٦]: «ثم ساروا على تنيس فلم يحمل الماء سفنهم إليها فخشوا أن توحل فلما لم يحملهم الماء صاروا إلى اشتومها وهي مرسى بينه وبين تنيس أربعة فراسخ وأقل، وله سور وباب حديد كان المعتصم أمر بعمله» وفعل الروم في اشتوم تنيس ما فعلوه من قبل في دمياط فاشعلوا فيه النيران وخربوا واستولوا على ما كان فيه من السلاح [٩٧] أما أبو المحاسن [٩٨]: فيفسر إسراع الروم بمغادرة دمياط بقوله: أن ابن الأكشف هزمهم وأخرجهم عن دمياط فنزحوا عنها

منهزمين بينما يعطينا ابن إياس [٩٩] رأيا آخر يؤكد فيه أن المصريين جميعا وقفوا صفا واحدا أمام تلك الحملة حتى أجلوها عن البلاد فقد ذكر أنه عندما وصلت أخبار تلك الحملة إلى مصر في يوم عيد الأضحى «نودى بالنفير فخرج أهل الفسطاط جميعا وتوجهوا إلى ثغر دمياط وتحاربوا مع بني الأصفر فانتصر عليهم عنبسة وأسر منهم جماعة وهرب الباقون جميعا وفي ذلك إشارة إلى حدوث صدام بين الروم والمصريين آنذاك [١٠٠].

ومهما يكن من أمر فإن الروم بما أحدثوه في دمياط كانوا هم المنتصرين لكنهم لم يكن في مخططهم البقاء أكثر من ذلك في الثغر لأن هدفهم كما مر بنا [١٠١] وأن الروم لم يستقروا في دمياط بعد تدميرهم وتخريبهم لها مما لا يعطيها صفة الفتح المستقر الثابت [١٠٢] لكن الغارة على دمياط حققت هدفها في الانتقام لهزيمة ثيوكتستوس التي لحقت به من مسلمي أقريطش (كريت) سنة ٢٢٨هـ/٨٤٣م [١٠٣] كما فوتت على مسلمي كريت فرصة الاستفادة من السلاح والمعدات التي قد يحصلوا عليها من مصر.

كان رد فعل تلك الغارة على دمياط أن أمر الخليفة المتوكل ببناء حصن دمياط في رمضان سنة ٢٣٩هـ [١٠٤] الموافق فبراير ٨٥٤م [١٠٥] كما أمر بتشييد حصنين آخرين أحدهما في الفرما والآخر في تنيس، وقد أشرف على إنشائهم جميعا أمير مصر عنبسة بن إسحاق وأنفق لهذا الغرض أموالاً عظيمة وأقاموا يعبثون في السواحل [١٠٦] وعندئذ أمر المتوكل العباسي بترتيب المراكب في جميع السواحل [١٠٧]

وأن تشحن جميعا بالمقاتلة [١٠٨]. كما أن هذا الحادث كان مثار عناية المصريين بإنشاء أسطول يزودون به عند موانئهم ويصدون به إغارات الأعداء على شواطئهم «فوقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الأسطول وجعلت الأرزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر وانتدب الأمراء له الرماة فاجتهد الناس بمصر في تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة وانتخب له القواد العارفون لمحاربة العدو، وكان لا ينزل في رجال الأسطول غشيم ولا جاهل بأمور الحرب هذا وللناس إذ ذاك رغبة في جهاد أعداء الله وإقامة دينه لا جرم أنه كان لخدَّام الأسطول حرمة ومكانة ولكل أحد من الناس رغبة في أن يُعَدَّ من جملتهم فيسعى بالوسائل حتى يستقر فيه، وكان من غزوا الأسطول بلاد العدو وما قد شحنت به كتب التاريخ»[١٠٩] فما أن جاء الثلث الأخير من القرن التاسع الميلادي إلا وكان للأسطول الإسلامي اليد العليا في هذه الحرب البحرية الطويلة [١١٠].

ثالثا: النوبة [١١١] وثورة البجة:

قامت بين مصر وبلاد النوبة حروب لمتاخمة ذلك الأقليم لمصر[١١٢] وكان ثغر أسوان بحكم موقعه الجغرافي في نهاية الحدود الجنوبية لمصر[١١٣] يمثل خط الدفاع الأمامي ضد أي عدوان يأتي من النوبة والبجة على مصر، ولما فتح عمرو بن العاص مصر لم يغفل عن أهمية تأمين ثغر أسوان وحدود مصر الجنوبية فما كاد يستولي على الصعيد ويخرج منه الروم سنة ٢٠هـ[١١٤] حتى أرسل سرية بقيادة عقبة بن نافع الفهري إلى النوبة ولكنها هزمت على أيدى النوبيين [١١٥]

فأعقب ذلك بإرسال سرية أخرى بقيادةعبد الله بن سعد بن أبي سرح لغزو النوبة ٢٠/٢١هـ وقاتلهم قتالاً عنيفا قال فيه أحد الشعراء:-

لم تر عيني مثل يوم دنقلة والخيل تعدوا بالدروع

على أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح لم يتمكن من فتح النوبة وانتهى الأمر بعقد هدنة في رمضان سنة ٣١هـ/ إبريل ٦٥٢م [١١٧] تضمنت ذلك العهد الذي يقوم على التسامح الديني وحسن الجوار وتبادل المنافع الاقتصادية، وقد اتفق فيها على أن ترسل النوبة إلى مصر ما تحتاج إليه من الماشية والرقيق فكانوا يُجلبون إلى مصر فيباعون بها لفلاحة الأرض لينصرف المسلمون للجهاد [١١٨] كان ذلك في مقابل أن تأخذ بلاد النوبة من مصر ما ينقصها من الحبوب والثياب وفي ذلك يذكر المقريزي [١١٩] نقلا عن عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني أن «مَن يخرج إلى بلد النوبة من المسلمين فمعاملته معه في تجارة أو هدية إليه (صاحب الجبل) أو إلى مولاه يقبل الجميع ويكافئ عليه بالرقيق» ثم يضيف «ولا يجوزها دينار ولا درهم إذ كانوا يتبايعون بذلك إلا دون الجنادل مع المسلمين وما فوق ذلك لا بيع بينهم ولا شراء إنما هي معاوضة بالرقيق والمواشي والحبال والحبوب» هذا ما جعل بعض المؤرخين [١٢٠] يفسرون اتفاقية البقط التي عقدت بين عبد الله بن سعد بن أبي سرح وبين قليدوروث ملك النوبة بأنها أقرب إلى معاهدة تبادل اقتصادي بين مصر والنوبة وليست بجزية ولا خراج» ويبدو أنه كلما كانت الحكومة المركزية في مصر قوية استطاعت دفع الغزاة الذين طرقوا أبوابها من ناحية الجنوب أما في حالة ضعفها فإن العدو كان يهاجم أسوان ومنها إلى داخل البلاد، وكان ملوك النوبة قبل قيامهم

بالهجوم على مصر يتابعون الأحوال بها فإذا ما وجدوا الظروف في صالحهم أقدموا على مهاجمتها وامتنعوا عن دفع ما كان مقررًا عليهم [١٢١] وفي أواخر القرن الأول للهجرة تجمع لعبيد الله بن الحبحاب البُجَه (بضم الباء وفتح الجيم) أو البُجاه (بضم الباء) وكانوا يقيمون على مقربة من عَيْذاب (بفتح العين وسكون الياء)[١٢٢] على البحر الأحمر وانتشروا في بلاد النوبة وغيرها ولا سيما بين النيل النوبي والبحر الأحمر في الأراضي الممتدة بين دنقلة وأسوان تقريبا [١٢٣] ولكن ابن الحبحاب تركهم وهادنهم إذ كان مشغولاً بأحداث أفريقية ولكن هؤلاء النوبيين والبجاة لم يحفظوا هذا العهد وكثرت تعدياتهم على منطقة أسوان [١٢٤].

وبهذا يكون العرب قد اتصلوا بالنوبة والبجة اتصال تعاهد ومرور وانتقال، وأن بلاد السوادن قد عرفت اللاجئين السياسيين من العرب كبنى أمية الذين فروا من وجه العباسيين إلى بلاد النوبة أو إلى شرقي السودان واستقروا في أرض الجزيرة.

ويبدوا أن العرب اتصلوا إتصالا وثيقا بالبجة في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) عن طريق البحر الأحمر وعن طريق وادي النيل وخاصة من إقليم أسوان فرحلوا إليهم تجارا واجتازوا من مصر إلى بلادهم حاجين وهاجروا إلى مفاوز الذهب والزمرد منقبين ومستخرجين.

ويظهر أيضا أن جماعة من العرب المسلمين كانوا أول من استقر هناك وبنوا مساجد لهم فهذه كلها عوامل مهدت للعرب سبيل الاختلاط أول الأمر بالبجة في شرقي السودان وساعدت على تعريب هذه المنطقة غير أن البجة لم يحافظوا على العهد الذي قطعوه على أنفسهم مع عبيد الله بن الحبحاب فكثرت غاراتهم على جهات أسوان واشتد ايذاؤهم للمسلمين فيها فرفع أمرهم إلى الخليفة العباسي المأمون سنة ٢١٦هـ/٨٣١م فكانت له معهم وقائع انتهت بموادعتهم وإبرام عهد جديد بينه وبين كنُّون بن عبد العزيز زعيم البجة ومن أهم شروط هذا العهد الذي تبين لنا مدى اتصال العرب بمنطقة شرقي السودان:

١) أن تكون بلاد البجة من حدود أسوان إلى البلاد التي تمتد بين «دَهْلَكَ»[١٢٥] «وباضع»[١٢٦] مُلكًا للخليفة وأن يكون كنُّون بن عبد العزيز ملكا على البجاه وهذه أول مرة تكون فيها منطقة السودان ملكا للخليفة فقد كانت المناطق المعروفة للعرب يومئذ مستقلة قائمة بذاتها يربطها عهد بأمير المؤمنين أو بولاته.

٢) أن يؤدي ملك البجاة كل عام الخراج أو «البَقْط»[١٢٧] (بفتح الباء وسكون القاف) على ما كان عليه أسلافه مائة من الإبل أو ثلثمائة دينار.

٣) أن يحترم البجة الإسلام وألا يذكروه بسوء ولا يعينوا أحدا على أهله.

٤) ألا يمنعوا أحدًا من المسلمين تاجرًا أو مقيمًا مجتازًا أو حاجا فهو آمن حتى ينزح من بلادهم وهذا الشرط يدل على أن العرب

المسلمين كانوا يذهبون إلى شرقي السودان للتجارة أو للإقامة أو المرور أو للحج مما يدعو إلى الاستقرار أو البقاء في تلك المنطقة.

٥) إذا نزل البجة صعيد مصر مجتازين أو تجارًا فلا يظهرون سلاحا ولا يدخلون المدن والقرى بحال [١٢٨].

وتدل هذه الشروط على أن العرب المسلمين كانوا يترددون على شرقي السودان تجارًا أو مقيمين ومجتازين وحجاجًا وأن من البجة من أسلم وأنه كان للمسلمين بها مساجد معمورة في أكثر من بلد، وأن عمال الخليفة كانوا يغشونها لقبض الجزية.

فهذه المناطق إذن أسبق مناطق السودان إلى الدخول في الإسلام، وكان هناك اتصال بين ملك النوبة والخليفة العباسي المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ) بسبب العهد الذي أبرم بين ملك النوبة والمسلمين، فقد أرسل السفراء ليحددوا هذا العهد وزار ملك النوبة قاعدة مصر حيث قوبل بمظاهر الاحترام والتكريم وعاد إلى بلاده يحمل الهدايا وفي عهد الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ) (٨٤٧-٨٦١م) وفي سنة ٢٤١هـ[١٢٩]/٨٥٥م وخلال ولاية عنبسة بن إسحاق على مصر (٢٣٨-٢٤٢هـ) نقض البجة هذا العهد وامتنعوا عن أداء ذلك الخراج الذي كان مقررًا عليهم سنين متوالية وتعرضوا لمن كان يعمل في مناجم الذهب من العمال والفعلة والحفارين وامتدت غاراتهم على أعالى الصعيد ونهبوا بعض المدن المصرية كأسوان واسنا وأتفوا وظواهرهم[١٣٠] الأمر الذي جعل المسلمين الذين كانوا يعملون بأرض

المعادن انصرفوا عنها خوفا على أنفسهم وأولادهم من عدوان البجة فانقطع بذلك ما كان يؤخذ للسلطان بحق الخمس من الذهب والجوهر فلم يكتم عنبسة هذا الخبر عن الخليفة المتوكل على الله فكتب إليه بجميع ما فعلته البجاة [١٣١] فأرسل المتوكل القائد محمد بن عبد الله المعروف «بالقمى» لحربهم وولاه على قفط والأقصر واسنا وأرمنت وأسوان وكتب إلى عنبسة ابن إسحاق عامله على مصر بإعطائه بجميع ما يحتاجه من الجند [١٣٢] بعد أن شاور المتوكل في أمر البجاة أرباب الخبرة بمسالك تلك البلاد [١٣٣].

خرج القمى إلى أرض البجة ويذكر المقريزي [١٣٤]: أن عدد جيشه لم يكن حينئذ كبيرًا إلا أنه اختار رجاله وفي طريقه انضمت إليه أعداد كبيرة ممن كانوا يعملون في المعادن إلى جانب المتطوعين حتى أن جيشه بلغ عشرين ألف مقاتل في الوقت الذي شحنت فيه المراكب بالمؤمن التي تلزم الجيش من ميناء القلزم إلى ساحل عيذاب [١٣٥] لأن من يدخل بلاد البجة يلزمه أن يتزود لجميع المدة التي يظل فيها هناك [١٣٦] لأن الوصول إلى بلادهم صعب، وأن التكلف إلى قطع تلك المسافة وهي أقل ما تكون مسيرة شهرين من ديار مصر ويريد المتوجه أن يستعد بجميع ما يحتاج إليه من المياه والأزواد والعلوفات، ومتى ما أعوزه شيء من ذلك هلك جميع من معه من الجند وأخذهم البجاة قبضا باليد [١٣٧].

سار «القمى» بقواته جنوبًا متجاوزًا أرض المعادن حتى وصل إلى حصون البجة وقلاعهم، وبدأت الحرب بينهم بمناوشات بسيطة، وكانت خطة ملك البجة أن يراوغ جيش المسلمين لإطالة مدة القتال حتى تنفذ المؤمن من المسلمين فيستطيع القضاء عليهم لكن خاب ظنه فقد وصل إلى المسلمين سفن محملة بالزاد فوجد ألا مفر من لقائهم(١٣٨).

التقى الفريقان في معركة ضارية انتزع «القمى» جميع ما كان في رقاب جمال عساكره من الأجراس فعلقها في أعناق خيوله وأمر أصحابه بتحريك الطبول وبنفير الأبواق – أي النفخ فيها – ساعة الحملة وتم واقفا بعساكره وقد رتبها ميامن وميامر بحيث لم يتقدم منها عنان عن عنان وزحفت السودان عليه وهو بموقفه لا يتحرك حتى قاربوه وكادت تصل مزاريقهم إلى صدر خيوله فعند ذلك أمر أصحابه بالتكبير ثم حمل بعساكره على السودان حملة رجل واحد (١٣٩) «فأخذهم قتلا وأسرًا حتى أدركه الليل... ثم رجع إلى معسكره ولم يقدر على إحصاء القتلى لكثرتهم فلما أصبح القمى وجدهم قد جمعوا جمعا من الرّجالة ثم صاروا إلى موضع أمنوا فيه طلب القمى فوافاهم القمى في الليل في خيلة فهرب ملكهم على بابا ثم طلب الأمان على أن يُرد إلى مملكته وبلاده فأعطاه القمى ذلك (١٤٠) شريطة أن يطأ بساط أمير المؤمنين إظهارًا لطاعته (١٤١) وأن لا يمنع المسلمين من العمل في أرض المعدن، وأن يدفع الخراج المتأخر عليه للمدة التي منعها – وهي أربع سنين – لكل سنة أربعمائة مثقال (١٤٢). خرج «القمى» بعلي بابا إلى العراق وأحضره بين يدي الخليفة المتوكل على الله فأمره الحاجب بتقبيل الأرض فقبلها ثلاث مرات فعفا عنه المتوكل وأفاض عليه الخلع وأعاده إلى بلاده(١٤٣).

نتـــائج البحـــث

ويخلص هذا البحث إلى عدة نتائج هي:

١- إن تعيين الوالي في مصر كان يتم من قِبَل الخليفة في المدينة أو في دمشق أو في بغداد.

٢- لم تكن اختصاصات الوالي قاصرة على إمامة المسلمين في الصلاة وقيادة الجيوش وقت الحرب وشئون الإدارة وحفظ النظام وتنفيذ الأحكام فحسب بل أضاف المنتصر لعنبسة بن إسحاق الخراج مع الصلاة والاختصاصات الأخرة خلال فترة من ولايته واستمر على ذلك حتى سنة ٢٤١هـ.

٣- لم يكن هناك نظام إداري ثابت يفرض على الخليفة تحديد اختصاصات الوالي فيما يتعلق بإنفراد الوالي بشئون الولاية أو جمعه بين ذلك والخراج.

٤- حرص عنبسة بن إسحاق على رد المظالم وإعادة الحقوق لأصحابها وإقامة العدل والإحسان إلى الناس.

٥- أزعم أنني لم أجد في روايات المؤرخين فيما قرأت ما يوضح ميل عنبسة إلى مذهب الخوارج رغم اتهامه بذلك.

٦- لعبت الثغور والموانى المصرية كتنيس ودمياط دورًا تاريخًا وحضاريا من النواحي السياسية والاقتصادية والحربية.

٧- مبالغة عنبسة بن إسحاق في الاحتفال الذي أقامه على حساب أمن البلاد حيث قام باستدعاء الجند الذين بتنيس ودمياط والإسكندرية للحضور إلى الفسطاط بسبب التجمل بهم في الاحتفال بالعيد أو بسبب طهور ولديه كل ذلك يدل على التقصير وعدم القيام بحفظ

النظام والتراخي في الدفاع عن البلاد.

٨- الخسائر الفادحة التي لحقت بدمياط نتيجة هجوم الروم عليها.

٩- الشجاعة النادرة والاستبسال من أهل دمياط ووقوفهم صفا واحدا أمام تلك الحملة حتى أجلوهم عن البلاد.

١٠- إن الغارة على دمياط حققت هدفها في الانتقام لهزيمة ثيوكتستوس من مسلمي اقريطش (كريت) كما فوتت عليهم فرصة الاستفادة من السلاح والمعدات التي قد يحصلوا عليها من مصر لكنها من ناحية أخرى لم يعطيها هذا الهجوم على دمياط صفة الفتح المستقر الثابت.

١١- عدم قيام الخليفة أو الوالي بتحصين دمياط وهي من الثغور والموانى ذات الأهمية الكبرى إلا بعد تعرضها لهجوم الأعداء.

١٢- ما ترتب على هجوم الروم على دمياط من عناية الولاة بإنشاء أسطول يزودون به عن الثغور والموانى ويصدون به إغارات الأعداء.

١٣- اتصال العرب المسلمين ببلاد النوبة إتصال تعاهد ومرور وانتقال وبالتالي ساعد ذلك على تقريب هذه البلاد.

١٤- دخول الإسلام بلاد النوبة واعتناق بعض البجاة للإسلام وأصبح للمسلمين في هذه المناطق مساجد معمورة.

١٥- احترام المسلمين للعهود التي كانوا يبرمونها مع جيرانهم والتي تقوم على التسامح الديني وحسن الجوار وتبادل المنافع الاقتصادية.

١٦- قوة الحكومة المركزية في مصر جعلها تدفع الغزاة الذين طرقوا أبوابها وضعفها جعل العدو يهاجمها حتى يصل إلى داخل البلاد.

١٧- عفوا الخلفاء عن الأعداء ما داموا قد توقفوا عن محاربتهم ودخلوا في طاعتهم.

هوامش البحث :

(1) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي) تاريخ اليعقوبي المجلد ٢ صـ٤٨٨ دار صادر بيروت ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م، الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف) الولاة والقضاة صـ٢٠٠ بيروت ١٩٠٨م. أن أبو المحاسن: يسميه عنبسة بن إسحاق بن شمر بن عيسى بن عنبسة النجوم الزاهرة ٢ صـ٢٩٣ أما ابن إياس: فيكتفي بتسميته عنبسة بن إسحاق بن شمر. بدائع الزهور في وقائع الدهور ج١ صـ٢٤. في حين يحرف زامباور الاسم بعض الشيء في كتابه: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي صـ٤١ فيسميه عنبسة بن إسحاق بن شامر ويذكر أنه قدم في يوم ٥ ربيع الثاني سنة ٢٣٨هـ.

(2) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي مجلد ٢ صـ٤٨٨، الكندي: الولاة والقضاة صـ٢٠٠.

(3) أبو المحاسن: (جمال الجين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردي الأتابكي) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج٢ صـ٢٩٣ طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب.

(4) «هراة»: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان. ياقوت: (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي) معجم البلدان ج٥ صـ٣٩٦ دار صادر بيروت، ابن عبد الحق (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق) مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ج٢ صـ١٤٥٥ دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

(5) أبو المحاسن النجوم الزاهرة ج٢ صـ٢٩٣.

(6) الرافعي وعاشور: مصر في العصور الوسطى صـ٦٤ دار النهضة العربية القاهرة ١٩٩٠م.

(7) الكندي: الولاة والقضاة صـ٢٠٠.

(8) د/ أحمد مجاهد مصباح: مصر في ظلال الخلفاء صـــ٢٢٤ – ٢٢٥ دار الطباعة المحمدية القاهرة الطبعة الأولى ١٣٨٩هـــ/١٩٦٩م.

(9) د/ أحمد مجاهد مصباح: مصر في ظلال الخلفاء صـــ٢٣٤.

(10) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ج٢ صـــ٢٩٤ دار صادر بيروت، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٠٠.

(11) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٥ وبذلك تكون الفترة التي قضاها عنبسة على الصلاة والخراج معًا تقارب الأربع سنوات.

(12) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٥، الياس الأيوبي: تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي سنة ٦٤٠م إلى الفتح العثماني سنة ١٥١٧م ج١ صـــ٣٤٣ مطبعة الرغايب القاهرة ١٩٢٦م.

(13) أبو المحاسن: النجوم لزاهرة ج٢ صـــ٢٩٤، د/ على إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني صـــ٤٦ النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٤٩م، إلياس الأيوبي: تاريخ مصر افسلامية من الفتح العربي سنة ٦٤٠م إلى الفتح العثماني سنة ١٥١٧م ج١ صـــ٣٤٣ مكتب الرغايب بمصر ١٩٢٦م.

(14) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٩ وهذه المصلى وردت في الخطط ج٢ صـــ٤٥٤، ٤٥٥ في كلام المقريزي على مصلى خَوْلان ومصلى عنبسة.

(15) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٤.

(16) إلياس الأيوبي: تاريخ مصر الإسلامية ج١ صـــ٣٤٣.

(17) إذا عرفنا مبادئ هذه الطائفة أمكننا أن نقدر خطر نسبة ذلك إلى الوالى عنبسة لأن الخوارج يقولون بصحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان في سنى حكمه الأولى وعلى إلى أن حكم الحكمين، وكانوا يمثلون المبادئ الديمقرطية المتطرفة إذ يعتقدون أن الخليفة إذا ظلم رعيته استحل عزله أو قتله، كذلك

جعل الخوارج حق الخلافة أمرًا مشاعًا بين جميع المسلمين للأحرار والأرقاء على السواء وخالفوا بذلك نظرية الشيعة التي تقول بإنحصار الخلافة في بيت النبي الذي ينتسب إليه العباسيون أصحاب النفوذ في مصر. د/ على إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى صـــ٤٦.

(18) د/ على إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى صـــ٤٦، إلياس الأيوبي: تاريخ مصر الإسلامية ج١ صـــ٣٤٣.

(19) محمد مصطفى الماحي – محمد عبد المنعم خفاجي: شعراء مصر من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الفاطمية صـــ٦٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.

(20) المقريزي: الخطط ج١ صـــ٢١٣.

(21) القلقشندي (الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي): صبح الأعشى في صناعة الانشا ح٣ صـــ٣٠٨ طبعة مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(22) الخطط ج١ صـــ٢١٥.

(23) هي بلد بمصر من نواحي كورة الغربية عنده يفترق النيل فرقتين: فرقة تمضي شرقيا إلى تنيس وفرقة تمضي غربيا إلى رشيد. ياقوت: معجم البلدان ج٣ صـــ٣٤٤، ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ج٢ صـــ٧٩٨.

(24) هي بلدة بمصر من جهة دمياط في كورة السمنودية. ياقوت: معجم البلدان ج٢ صـــ١٧٨، ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ج١ صـــ٣٥٥.

(25) ياقوت: معجم البلدان ج٢ صـــ٤٧٣، ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ج١ صـــ٢٧٨ – ٢٧٩.

(26) ابن خردازبه (أبو القاسم عبد الله بن أحمد) المسالك والممالك صـــ٨٢ ليدن ١٩٦٧م، المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بالبشاري) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ليدن ١٩٦٧م.

(27) د/ إبراهيم أحمد العدوي: سواحل مصر مجلة كلية آداب جامعة القاهرة المجلد الخامس الجزء الأول صـــ١٤٠ مايو ١٩٥٧م.

(28) الاصطخري (أبو إسحاق إبراهيم محمد الفارسي الاصطخري توفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري) المسالك والممالك صـــ٤١، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني مراجعة محمد شفيق غربال الجمهورية العربية المتحدة ١٣٨١هـــ/ ١٩٦١م ، ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي) صورة الأرض صـــ١٤٣ ليدن ١٩٦٧م.

(29) الخطط ج١ صـــ٢٣١.

(30) معجم البلدان ج٢ صـــ٥٢.

(31) د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج٤ صـــ٤٠٦ القاهرة ١٩٦٧، د/ صفاء حافظ عبد الفتاح: المواني والثغور المصرية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي صـــ١٧ دار الفكر العربي.

(32) ياقوت: معجم البلدان ج٢ ص٥١، ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ج٢ صـــ٥٣٦.

(33) د/ أحمد مختار العبادي، د/ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام صـــ٤٦ دار النهضة العربية ١٩٨١م.

(34) د/ صفاء حافظ: المواني والثغور المصرية صـــ١٨٣.

(35) البكري (أبو عبيد بن عبد الله بن عبد العزيز) المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب تحقيق دي سلان صـــ٨٦ الجزائر ١٩١١م.

(36) د/ أحمد العبادي ، د/ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام صـــ٤٦ - ٤٧.

(37) المسالك والممالك صـــ٤١.

(38) صورة الأرض صـــ١٤٣.

(39) معجم البلدان ج٢ صـــ٤٧٣.

(40) ياقوت: معجم البلدان ج٢ صـــ٤٧٢، ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ج٢ صـــ٥٣٦.

(41) ابن بطوطه (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ت٧٧٩هـــ/ ١٣٧٧م) الرحلة صـــ٣٣ دار صادر بيروت.

(42) أحسن التقاسيم صـــ٢٠١.

(43) ابن بطوطة: الرحلة صـــ٣٣.

(44) الخطط ج١ صـــ٢١٤.

(45) المقريزي: الخطط ج١ صـــ٢١٤، د/ سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية صـــ٨٩ المجمع العلمي جدة ١٣٩٩هـــ/ ١٩٧٩م.

(46) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) تاريخ الأمم والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ج٨ صـــ٦١٣ الطبعة الثالثة دار المعارف القاهرة.

(47) د/ إبراهيم أحمد العدوي: الأسطايل العربية في البحر المتوسط صـــ١٠٥ القاهرة ١٩٥٧م.

(48) د/ سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية صـــ٨٩.

(49) الكندي: الولاية والقضاة صـــ٢٠١، الطبري ج٩ صـــ١٩٣ - ١٩٤، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٤.

(50) د/ سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية صـــ٨٩.

(51) د/ علية عبد السميع الجنزوري: هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى صـــ٥٣ الأنجلو المصرية الطبعة الأولى ١٤٠٥هـــ/ ١٩٨٥م.

(52) د/ أسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية صـــ٨٦ عن موناخوس دار المجمع العلمي جدة ١٣٩٧هـــ/ ١٩٧٧م.

(53) د: أسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية صـــ٨٦ - ٨٧ عن موناخوس.

(54) د/ أسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية صـــ٨٧.

(55) د/ أسد رستم: الروم سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ج١ صـــ٣٣٤ دار المكشوف بيروت الطبعة الأولى ١٩٥٥م.

(56) د/ أحمد العبادي، د/ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام صـــ٤٧.

(57) د/ أسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية صـــ٨٨، د/ علية عبد السميع الجنزوري: هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية صـــ٥٤.

(58) د/ أسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية صـــ٨٨.

(59) د/ أسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية صـــ٤١ – ٤٥ عن (النعمان: المجالس والمسايرات).

(60) د/ أسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية صـــ٨٨.

(61) د/ علية الجنزوري: هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر صـــ٥٥.

(62) د/ أسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية صـــ٨٨.

(63) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٩ صـــ١٩٤.

(64) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٩ ص،١٩٣، ابن الأثير (أبو الحسن على بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني المقلب بعز الدين) الكامل في التاريخ المجلد ٧ صـــ٦٨ دار صادر بيروت ١٣٩٩هـــ/ ١٩٧٩م، الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان) دول الإسلام تحقيق فهيم محمد شلتوت – محمد مصطفى إبراهيم ج١ صـــ١٤٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٤م، اليافعي (أبو محمد عبد الله بن سعد بن علي بن سليمان) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج٢ صـــ١٢١ دائرة المعارف النظامية حيدر أباد الدكن الطبعة الأولى ١٣٣٨هـــ، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٤، ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن علي بن محمد) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج٢ صـــ٨٩ المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت لبنان.

(65) تاريخ اليعقوبي ج٢ صـــ٤٨٨.

(66) د/ علية عبد السميع الجنزوري: هجمات الروم البحرية صـــ٥٥.

(67) تاريخ الأمم والملوك ج٩ صـــ١٩٣.

(68) الكامل في التاريخ المجلد ٧ صـــ٦٨.

(69) د/ سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية صـــ٨٩.

(70) د/ علية عبد السميع: هجمات الروم البحرية صـــ٥٦.

(71) الكندي: الولاة والقضاة صـــ٢٠١، المقريزي: الخطط ج١ صـــ٢١٤، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٤ حيث ذكروا أن ذلك كان يوم عرفة ويؤيد هذا ما ذكره ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد) بدائع الزهور في وقائع الدهور ج١ صـــ٢٤ مطبعة دار الشعب ١٩٦٠ من أن (بنوا الأصفر) – أي الروم – جاؤوا إلى ثغر دمياط سنة ٢٣٨هـــ وهاجموها، وأن الخبر جاء على مصر بذلك في يوم عيد النحر أي أن الروم هاجموا دمياط ليلة العيد.

(72) د/ إبراهيم أحمد العدوي: الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ص،٩٢ مطبعة لجنة البيان العربي.

(73) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ صـــ٤٨٨، الكندي: الولاة والقضاة صـــ١٠٠، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٣.

(74) د/ إبراهيم أحمد العدوي: الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية صـــ٩١.

(75) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٩ صـــ١٩٤.

(76) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٤.

(77) (ابن خلدون (عبد الرحمن المغربي ت ٨٠٨هـــ/١٤٠٦م) ديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ج٣ صـــ٣٤٧ مراجعة الدكتور سهيل ذكار دار الفكر الطبعة الأولى ١٤٠١هـــ/١٩٨١م.

(78) د/ أسد رستم: الروم سياستهم وحضارتهم ج١ صـــ٣٣٥، د/ إبراهيم العدوي: الإمبراطورية البيزنطية صـــ٩٢.

(79) د/ إبراهيم العدوي: الإمبراطورية البيزنطية صـــ٩٢.

(80) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٩ صـــ١٩٤ والمقصود بالقند هنا عسل قصب السكر . ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ت٧١١هـــ/ ١٣١١م) لسان العرب ــ حرف القاف والنون صـــ٣٧٤٩ مطبعة دار الشعب، مختار الصحاح للرازي – حرف القاف والنون صـــ٥٥٢ المطبعة الأميرية القاهرة الطبعة السابعة ١٩٥٣م.

(81) ابن إياس: بدائع الزهور ج١ صـ٢٤ بولاق ١٣١١هـ.

(82) تاريخ اليعقوبي: ج٢ صـ٤٨٨.

(83) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٩ صـ١٩٤، ابن ألأثير: الكامل مجلد ٧ صـ٦٩، اليافعي: مرآة الجنان ج٢ صـ١٢١، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـ٢٩٢، السيوطي: تاريخ الخلفاء صـ٥٥٤ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة القاهرة الطبعة الأولى ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، ابن العماد: شذرات الذهب ج٢ صـ٨٩.

(84) الطبري: تاريخ الأمم ج٩ صـ١٩٤.

(85) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ صـ٤٨٨، الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٩ صـ١٩٤، ابن الأثير: الكامل مجلد ٧ صـ٦٨ – ٦٩.

(86) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ صـ٤٨٨ والسقط أي المتاع . ابن منظور: لسان العرب – حرف السين والقاف صـ٢٠٣٨، مختار الصحاح للرازي – حرف السين والقاف صـ٣٠٤.

(87) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٩ صـ١٩٤ هنا تعقب الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر على ذلك التصرف بقولها: إنه مما يدل على أن تلك الغارة كان يقصد منها أهداف أوسع من السلب الذي جرت عليه الغارات التقليدية آنذاك وأنها كانت جزء من سياسة الروم إذاء أسطول كريت وأن الجند استولوا على مؤن وذخيرة في دمياط كانت معدة للشحن إلى كريت... ثم أحرقوا أشرعة السفن المكدسة في المخازن البحرية بدمياط. البحرية في مصر الإسلامية صـ٩٠.

(88) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٩ صـ١٩٤.

(89) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٩ صـ١٩٤.

(90) تاريخ الأمم والملوك ج٩ صـ١٩٤، ياقوت: معجم البلدان ج٢ صـ٤٧٣.

(91) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٩ صـ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٢، ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر ج٣ صـ٣٤٧ د/ محمود شاكر: التاريخ الإسلامية ج١ صـ٢٤٣ المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(92) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٩ صـــ١٩٤، ابن الأثير: الكامل مجلد ٧ صـــ٦٩، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٤ – ٢٩٥.

(93) تاريخ اليعقوبي ج٢ صـــ٤٨٨.

(94) اليافعي مرآة الجنان ج٢ صـــ١٢١، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٢، السيوطي: تاريخ الخلفاء صـــ٥٥٤.

(95) الولاة والقضاة صـــ٢٠١، المقريزي: الخطط ج١ صـــ٢١٤ ويعقب الكندي على رأيه هذا بإيراد شعر ليحي بن الفضل كتبه للمتوكل يعجب فيه من موقف عنبسة ويتحسر لأن الدين كاد أن يذهب على يد الولاة المتراخين في أداء واجبهم نحو البلاد ويعجب من موقف عنبسة ومن ذلك الشعر تلك الأبيات:

أترضى بأن يوطأ حريمك عنوة وأن يستباح المسلمون

حمار أتى دمياط والروم وثب بتنيس رأى العين منه وأقرب

فما رام من دمياط شبرا ولا درى من العجز ما يأتي وما يتجنب

فلا تنسنا أنا بدر مضيعة بمصر وأن الدين قد كاد يذهب

وكان يحيي بن الفضل شاعرًا مصريا ترددت أشعاره في الأحداث الحربية التي ألمّت بمصر في مطلع القرن الثالث الهجري، وكان يمتاز بوطنيته وجرأته وقدرته على مواجهة الحكام المستبدين دون خوف أو مبالاة. محمد مصطفى الماحي – محمد عبد المنعم خفاجي: شعراء مصر من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الفاطمية صـــ٦٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.

(96) تاريخ الأمم والملوك ج٩ صـــ١٩٤.

(97) ابن الأثير: الكامل مجلد ٧ صـــ٦٨، ٦٩.

(98) وأشموم كما ذكرها ياقوت «هي اسم لبلدتين يقال لأحدهما: أشموم طناح وهي قرب دمياط (ولعلها هي المقصودة) وهي مدينة الدقهلية» والأخرى أشموم الجريسات بالمنوفية. النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٥.

(99) بدائع الزهور ج١ صـــ٢٤.

(100) د/ علية عبد السميع الجنزوري: هجمات الروم البحرية صـ٦٠ وإذًا فنحن أمام عدة روايات تاريخية مختلفة تناولت هجوم الروم على دمياط وهي:

أولا: رواية اليعقوبي التي ذكر فيها أن الهجوم على دمياط استمر يومين وليلتين وأن الروم استولوا على أسلحتها وأمتعتها.

ثانيا: رواية الكندي التي ذكر فيها أن عنبسة نفر إليهم في جيش ومعه كثير من المصريين.

ثالثا: رواية اليافعي والسيوطي التي أشارا فيها إلى أن الروم تركوا دمياط دون أن يتحدثا عن أية مقاومة من جانب المصريين.

رابعا: رواية أبو المحاسن التي نسب فيها هزيمة الروم وخروجهم من دمياط إلى ابن الأكشف.

خامسا: رواية ابن إياس التي أمد فيها أن المصريين وقفوا جميعا صفا واحدا أمام تلك الحملة حتى أجلوها عن البلاد.

وترتيبا على ما سبق من الاختلاف الذي ورد في هذه الروايات فإنني أرى أن عنبسة بن إسحاق تراخي في واجبة نحو البلاد لأسباب منها:

١- أن اليعقوبي وهو أقدم هؤلاء المؤرخين الذين تحدثوا عن هجوم الروم على دمياط أوضح في روايته أن الهجوم وقع بالفعل واستمر يومين وليلتين وأن الروم استولوا على أسلحتها وأمتعتها.

٢- أن رواية الكندي ذكر في جزء منها أن عنبسة نفر إليهم في جيشه ومعه كثير من المصريين ثم أتى في الجزء الآخر من الرواية بشعر ليحيى بن الفضل كتبه للمتوكل يعجب فيه من موقف عنبسة المتراخي نحو هذا الهجوم.

٣- أن بعض هؤلاء المؤرخين ذكروا أن الروم مضوا إلى تنيس فأقاموا بأشتومها فلم يتبعهم عنبسة. وبذلك يتضح لنا أن عنبسة وإن كان قد نفر لقتال الروم في دمياط على حد قول بعض المؤرخين إلا أنه حسب بعض الروايات الأخرى تراخي بعدم انتقاله إلى اشتوم تنيس ومحاولة قتال الروم وإخراجهم منها رغم ما قام به أهل تنيس من مقاومة الروم وقتالهم

حتى أنهم لم يتمكنوا من الإقامة ولم يقدروا عليها فعادوا إلى بلادهم. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٥.

(101) صـــ٥ من هذا البحث.

(102) د/ علية عبد السميع الجنزوري: هجمات الروم البحرية صـــ٦١

(103) د/ أسمت غنيم: الإمبراطورية البزنطية صـــ٩١.

(104) المقريزي: الخطط ج١ صـــ٢١٤.

(105) د/ سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية صـــ٩١.

(106) المقريزي: الخطط ج١ صـــ٢١٤.

(107) المقريزي: الخطط ج١ صـــ٢١٤.

(108) البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى جابر بن داود) فتوح البلدان نشر صلاح الدين المنجد ج١ صـــ١٩٣ النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٦م.

(109) المقريزي: الخطط ج٢ صـــ١٩١.

(110) آ. آشتور: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأسوط في العصور الوسطى ترجمة عبد الهادي عبلة مراجعة أحمد غسان سبانو صـــ١٢١ – ١٢٢ دار قتيبة ١٩٨٥م.

(111) النُّوب: قيل إنه جماعة النحل ترعى ثم تنوب إلى موضعها وقيل: النُّوب جمع نائب من النحل والقطعة من النحل تسمى نوبة وهي بلاد في جنوبي أسوان وهم نصارى أهل شدة في العيش. ابن حوقل: صورة الأرض صـــ١٢٦، ياقوت: معجم البلدان ج٥ صـــ٣٠٨ – ٣٠٩، ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ج٢ صـــ١٣٩٤ وأن مدينة النوبة إسمها دمقلة وهي منزل الملك على ساحل النيل وشرقي النوبة أمة تدعى البجة. ياقوت: معجم البلدان ج٥ صـــ٣٠٨ – ٣٠٩ وهم جنس من أجناس الحبش. الطبري ج٩ صـــ٢٠٣.

(112) الطبري ج٩ صـــ٢٠٤.

(113) المقريزي: الخطط ج١ صـــ١٩٧.

(114) بتلر: فتح العرب لمصر صـــ٤٤٨ تعريب محمد فريد أبو حديد مكتبة مدبولي القاهرة ١٤١٠هـــ/١٩٩٠م.

(115) البلاذري: فتوح البلدان ج١ صـــ٢٨٠.

(116) د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج٢ صـــ٢٠٤، د/ على إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتاح العثماني صـــ٢٠٥ النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٤٩م.

(117) الكندي: الولاة والقضاة صـــ١٢، المقريزي: الخطط ج١ صـــ٢٠٠، ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر ج٣ صـــ٣٤٦.

(118) ياقوت: معجم البلدان ج٥ صـــ٣٠٩، المقريزي: الخطط ج١ صـــ٢٠٠.

(119) الخطط ج١ صـــ١٩٠، ١٩١.

(120) ابن خرداذبه: المسالك والممالك صـــ٩٢، البلاذري: فتوح البلدان ج١ صـــ٢٣٧، د/ سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي فى مصر والشام ص ٨٢ الأنجلو المصرية الطبعة الثالثة ١٩٩٤م صـــ٧٦، د/ مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة في العصور الوطسى صـــ١٣٨، د/ عبد العوزيز محمود عبد الدايم: الرق في مصر في العصور الوسطى صـــ٣٥ مكتبة نهضة الشرق القاهرة ١٩٢٦م.

(121) د/ صفاء حافظ عبد الفتاح: المواني والثغور المصرية صـــ٧٥.

(122) ابن حوقل: صورة الأرض صـــ١٥١.

(123) ياقوت: معجم البلدان ج٥ صـــ٣٠٩.

(124) د/ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي ج١ صـــ٢١٠، ٢١١.

(125) «دهلَكَ» جزيرة في بحر اليمن (البحر الأحمر) وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها. ياقوت: معجم البلدان ج٢ صـــ٤٩٢، ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ج٢ صـــ٥٤٦.

(126) «باضع» جزيرة في بحر اليمن أيضا. ياقوت: معجم البلدان ج١ صـــ٣٢٤، ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ج١ صـــ١٥٤.

(127) البَقْط ما يقبض من سبى النوبة في كل عام ضريبة عليهم فإن كانت هذه الكلمة عربية فهي إما من قولهم في الأرض بقط من بقل وعشب أي نبذة من مرعى فيكون معنها على هذا نبذه من المال أو يكون من قولهم إن في بنى تميم بقطا من ربيعة أي فرقة أو قطعة فيكون معناها على هذا فرقة من المال أو قطعة منه ومنه بقط الأرض فرقة منها وبقط الشيء فرقة: والبقط أن تعطي الحبة على الثلث أو الربع والبقط أيضا ما سقط من التمر إذا قُطع... فيكون معناها على هذا بعض ما في أيدي النوبة وكان يؤخذ منهم في قرية يقال لها القصر مسافتها من أسوان خمسة أميال... وأول ما قرر هذا البقط على النوبة في إمارة عمرو بن العاص»: ولعل معنى بقط عهد (pact) وقد أورد المقريزي: الخطط ج١ صـــ٢٠٠ ما كان يدفعه أهل النوبة للمسلمين وهي ٣٦٥ رأسًا من الغنم لبيت المال ولوالي مصر أربعون رأسًا ويدفع المسلمون ألف أردب من القمح وثلثمائة إردب أخرى لرسل ملك النوبة، وكذلك من الشعير عدا فرسين ومائة ثوب وأربعة أثواب من القباطى عدا أنواع أخرى من الأثواب».

(128) المقريزي: الخطط ج١ صـــ١٩٥-١٩٦، د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج٢ صـــ٢٠٥-٢٠٦، د/ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي ج١ صـــ٢١١.

(129) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٩ صـــ٢٠٣ بينما يذكر أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٥ أن هذا الإعتداء وقع في سنة ٢٤٠هـــ ولعله يقصد الفترة التي تخللت ولاية عنبسة بن إسحاق على مصر دون تحديد الزمن المحدد الذي وقع فيه الاعتداء ذاته وهو سنة ٢٤١هـــ.

(130) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٩ صـــ٢٠٤، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٥ - ٢٩٦، د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج٢ صـــ٢٠٦.

(131) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٦.

يذكر أبو المحاسن: «أن الخليفة المتوكل على الله لما وقف من أرباب الخبرة بأحوال تلك البلاد فترت عزيمته عما كان قد عزم عليه من تجهيز العساكر وأن الذي كان سببا في توجيه تلك الحملة على البجاة هو القائد «محمد بن عبد الله القمى الذي كان من القواد الذين يتولون خفارة الحاج في أكثر السنين فحضر محمد المذكور الفتح بن خاقان وزير المتوكل وذكر له أنه متى رسم المتوكل إلى عمال مصر بتجهيزه عبر إلى بلاد البجاة وتعدى منها إلى أرض النوبة ودوّخ سائر تلك الممالك فلما عرض الفتح حديثه على المتوكل أمر بتجهيزه وسائر ما يحتاج إليه وكتب إلى عنبسة أن يمده بالخيل والرجال» النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٧ كان ينبغي على عنبسة وهو يؤمئذ والى مصر والمسئول الأول عن تأمين الحدود المصرية أن يوجه حملة مباشرة لتأديب وقمع هؤلاء البجاة حرصا على استغلال الوقت حتى لا يعطيهم الفرصة للتوغل ثم يخاطب بعد ذلك الخليفة بهذا الإجراء العسكري خاصة أن تجهيز العساكر كانت مسئولية عنبسة لا غيره فهو الذي قام بإمداد ابن القمى بما يحتاجه من الخيل والرجال بناءًا على تعليمات من الخليفة.

(132) الطبري: تاريخ الأمم ج٩ صـــ٢٠٤ ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر ج٣ صـــ٣٤٦.

(133) الطبري: تاريخ الأمم ج٩ صـــ٢٠٤، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٦.

(134) الخطط ج١ ص١٩٦.

(135) البلاذري: فتوح البلدان ج١ صـــ٢٨٢.

(136) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٩ صـــ٢٠٤.

(137) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٩ صـــ٢٠٤، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٦.

(138) الطبري: تاريخ الأمم ج٩ صـــ٢٠٥.

(139) الطبري: تاريخ الأمم ج٩ صـــ٢٠٥، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٨ ، ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر ج٣ صـــ٣٤٦.

(140) الطبري: تاريخ الأمم ج٩ صـــ٢٠٥ – ٢٠٦ يذكر المقريزي: أن ملكهم على بابا قتل فقام من بعده ابن أخيه وبعث يطلب الهدنة الخطط ج١ صـــ١٩٦ بينما يذكر أبو المحاسن: أن ملكهم امتثل لشرط محمد القمى وهو أن يطأ بساط الخليفة فولى ولده مكانه إلى أن يحضر من عند الخليفة: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٩.

(141) المقريزي: الخطط ج١ صـــ١٩٦.

(142) الطبري: تاريخ الأمم ج٩ صـــ٢٠٥ – ٢٠٦.

(143) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ صـــ٢٩٩ ، ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر ج٣ صـــ٣٤٦ – ٣٤٧.

مصادر البحث ومراجعه

مرتبة حسب حروف الهجاء لأسماء المؤلفين

١- ابن الأثير (أبو الحسن على بن أحمد بن أبي الكرم ت٦٣٠هـ).

- الكامل في التاريخ - دار صادر بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٢- الأصطخري (أبو إسحاق إبراهيم محمد الفارسي الاصطخري ت٣٤٦هـ).

- المسالك والممالك تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني مراجعة محمد شفيق غربال الجمهورية العربية المتحدة ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

٣- ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري ت٩٣٠هـ).

- بدائع الزهور في وقائع الدهور - بولاق ١٣١١هـ.

٤- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧هـ) - الرحلة دار صادر بيروت.

٥- البكري (أبو عبيد بن عبد الله بن عبد العزيز ت٤٨٧هـ).

- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب- الجزائر ١٩١١م.

٦- البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى جابر بن داود ت٢٩٧هـ).

- فتوح البلدان - نشر صلاح الدين المنجد - القاهرة ١٩٥٦م.

٧- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل توفى أواخر القرن الرابع الهجري) - صورة الأرض - ليدن ١٩٦٧م.

٨- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبد الله بن أحمد ت٣٠٠هـ).

– المسالك والممالك – ليدن ١٩٦٧م.

٩– ابن خلدون (عبد الرحمن المغربي ت٨٠٨هـ)

– العبر وديوان المتبدأ والخبر مراجعة الدكتور/ سهيل ذكار دار الفكر الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٠– الذهبي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ)

– دول الإسلام – تحقيق فهيم محمد شلتوت – محمد مصطفى إبراهيم – الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٤م.

١١– الرازي: مختار الصحاح المطبعة الأميرية القاهرة الطبعة السابعة ١٩٥٣م.

١٢– زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي أخرجه د/ زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود دار الرائد العربي بيروت لبنان ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٣– السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين ت٩١١هـ).

– تاريخ الخلفاء – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة – القاهرة – الطبعة الأولى ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

١٤– الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت٣١٠هـ).

– تاريخ الأمم والملوك – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف – القاهرة – الطبعة الثالثة.

١٥- ابن عبد الحق (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت٧٣٩هـ).

- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - تحقيق وتعليق على محمد البجاوي - دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي - الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

١٦- ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن علي بن محمد (١٠٨٩هـ).

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب - المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان.

١٧- القلقشندي (الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي ت٨٢٣هـ).

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا - طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

١٨- الكندي (أبو عمر محمد بن يوسفن ت٣٥٠هـ).

- الولاة والقضاة - بيروت ١٩٠٨م.

١٩- أبو المحاسن (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ت٨٧٤هـ).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - دار الكتب المصرية

٢٠- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بالبشاري ت(٣٨٧هـ).

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - ليدن ١٩٦٧م.

٢١- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت٨٤٥هـ).

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية – دار صادر بيروت.

٢٢- ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ت٧١١هـ) لسان العرب مطبعة دار الشعب القاهرة .

٢٣- اليافعي (أبو محمد عبد الله بن سعد بن علي بن سليمان ت٧٦٨هـ).

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان – دائرة المعارف النظامية حيدر أباد الدكن – الطبعة الأولى ١٣٣٨هـ.

٢٤- ياقوت : (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي ت٦٢٦هـ) معجم البلدان – دار صادر بيروت.

٢٥- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي ت٢٨٤هـ).

- تاريخ اليعقوبي – دار صادر بيروت ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

٢٦- آ.آشتور – التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى ترجمة عبد الهادي عبلة – مراجعة أحمد غسان سبانو دار قتيبة ١٩٨٥م.

٢٧- د/ إبراهيم أحمد العدوي.

- الأساطيل العربية في البحر المتوسط القاهرة ١٩٥٧م.

- الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية – مطبعة لجنة البيان العربي.

- سواحل مصر – مجلة كلية آداب جامعة القاهرة – المجلد الخامس الجزء الأول مايو ١٩٥٧م.

٢٨- د/ أحمد مجاهد مصباح.

- مصر في ظلال الخلفاء – دار الطباعة المحمدية – القاهرة – الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٢٩- د/ أحمد مختار العبادي، د/ السيد عبد العزيز سالم.

- تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام – دار النهضة العربية ١٩٨١م.

٣٠- أسد رستم.

- الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب – دار المكشوف – بيروت لبنان – الطبعة الأولى ١٩٥٥م.

٣١- د/ أسمت غنيم.

- الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية عن موناخوس دارالمجمع العلمي جدة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

- الإمبراطورية البيزنطية عن (النعمان: المجالس والمسايرات).

٣٢- بتلر: فتح العرب لمصر تعريب محمد فريد أبو حديد مكتبة مدبولي القاهرة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٣٣- د/ حسن إبراهيم حسن.

- تاريخ الإسلامي السياسي والديني والثقافي والاجتماعي القاهرة ١٩٦٧م.

٣٤- الرافعي وعاشور.

- مصر في العصور الوسطى - دار النهضة المصرة القاهرة ١٩٩٠م.

٣٥- د/ سعاد ماهر.

- البحرية في مصر الإسلامية - المجمع العلمي جدة - ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٣٦- د/ سعيد عبد الفتاح عاشور.

- العصر المماليكي فى مصر والشام الأنجلو المصرية الطبعة الثالثة ١٩٩٤م .

٣٧- د/ صفاء حافظ عبد الوهاب.

- الموانى والثغور المصرية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي - دار الفكر العربي.

٣٨- د/ عبد العزيز محمود عبد الدايم.

- الرق في مصر في العصور الوسطى- مكتبة نهضة الشرق - القاهرة ١٩٢٦م.

٣٩- د/ على إبراهيم حسن.

- مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني النهضة المصرية - الطبعة الثانية ١٩٤٩م.

٤٠- هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى - الأنجلو المصرية - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤١- محمد مصطفى الماحي - محمد عبد المنعم خفاجي.

- شعراء مصر من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الفاطمية (٢٠ – ٣٥٨هـ) – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.

٤٢- د/ محمود شاكر.

- التاريخ الإسلامي – المكتب الإسلامي – الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

٤٣- مصطفى مسعد.

- الإسلام والنوبة في العصور الوسطى.

٤٤- إلياس الأيوبي.

- تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي سنة ٦٤٠م إلى الفتح العثماني سنة ١٥١٧م مطبعة الرغايب – القاهرة ١٩٢٦م.